

المشروع الحضاري الإسلامي تأملات .. وبصائر

الدكتور حسن عبد الله الترابي رحمه الله تعالى

نشر في كتاب

الدور الحضاري الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد

(سلسلة مشروعات ثقافية)

مركز البحوث والدراسات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، الطبعة الأولى

1421 هـ / 2000م



أعيد نشره إلكترونياً في رمضان
1439 / مايو 2018

المشروع الحضاري الإسلامي

تأملات .. وبصائر

(*) الدكتور حسن عبد الله الترابي

الشورى التي كانت تجمع الناس بكل دفعهم السلطاني المتدين بدأت تغيب حتى من أصول الدين، وهي الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة، حيث إن الإجماع هو قرار الشورى بالطبع، لكن هذا سقط في الواقع وبدأ الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي.

الحمد لله الحي القيوم أولاً وأخيراً عبر الأزل.. والصلاة والسلام على موكب الأنبياء الذين وصلوا عالم الغيب الأزلي لعالم الشهادة النسبي. وبعد، فقيام الدين ونهضة الحضارة.. والدين هو قيام الإنسان، بقدر مشيئته لسيرة حياته إلى المصير، في إطار أقدر من الابتلاء في الدنيا. وقد يجمد الإنسان، غافلاً ضالاً بيداوة فطرته الساذجة، فلا يحدث في الكون أثراً ولا يحدث في تيار التاريخ حضارة.. وإذا تحرك فتتقف وتكيف، ولكنه كان رهيناً للشهوات والأهواء ولحاجات العالم المادية والمكانية المشهود فهو إنما ينشئ مدنية لا دينية.. أما إذا اهتدى بالدين وانفعل، فعبر عنه، وصوره عمراناً لحياته، مصوباً نحو أهداف على مناهج مشروعة، فإنما يكون بانياً لحضارة دينية.

تأملات في واقع المسلمين

(*) مفكر.. (السودان).

لقد قدر الله سنة من التداول لنهضات الحضارات الدينية وسقطاتها، كما يتحرك الموج، يعلو ويهبط.. عبر قرون الزمان، تقوم النهضات الدينية، وقد تنحط.. وإذا قرأنا القرآن في حركة الميراث الإبراهيمي، وهو الإسلام، نرى كيف كانت تنزل الرسالة، فتذكر الفطرة، وتحييها، وتدعمها بدوافع الإيمان وضوابط الحركة، وتتفجر الطاقات، فتقوم نظم النهضة وأركانها، تماماً كما يتنزل الغيث على النبات، فيقوم ويصبح حياً بعد موت.. لكن الغالب على الناس إذا تناول بهم العهد أن ينسوا ملتهم، وأن تحبط حركتهم، وأن تخف وطأتهم على أثر الحياة، فتغشاهم غاشيات الضلال والجمود من أنفسهم.

هذا الضعف النسبي، يجلب إليهم فتناً من قوى أخرى من حولهم في الكون.. وهذا ما كان يحدث دائماً لمصير الرسالات.. ثم يأتي إسعاف، يحررهم، ويطهرهم، ويذكرهم، ويفجر طاقاتهم العقلية اجتهاداً، والحركية جهاداً، ويملؤهم إيماناً، يعبرون عنه أقوالاً وأفعالاً.. وهكذا تتحرك الدورات والدفعات الحضارية.. ولعلنا نتذكر بالطبع نهضة حضارية لداود وسليمان عليهما السلام، وما حولهم.

أما بعد الرسالة الخاتمة، فقد أصبح توالي التجديدات والنهضات في وجه الابتلاءات المتقلبة المتداولة، لا يتنزل من السماء ولكن أصبح من تكاليف الذين حُمِلوا رسالة الإسلام من بعد، وقد حُفِظَتْ لهم الأصول.

لا أريد أن أعرض لصدر الإسلام، من محور حضارة واحدة من الأرض الوسطى، وكيف امتد لواء الإسلام شرقاً وغرباً ليجمع طائفة من شعوب العالم وأقوامهم.. وكيف أن الوشائج التي وصلت كل هذه الأطراف إلى محور الوحدة ومركزها، وقد بدأت تنتهي بعد ذلك، حيث الحضارة أخذت تدبل، كما تنقطع الشرايين التي تصل بالقلب، فينشل العضو.. ولكن بدأت تتعاقب كذلك نهضات ودفعات هنا وهناك.. فيقوم في

المشروع الحضاري الإسلامي.. تـأمـلات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

الهند المغول بحضارة.. وتقوم بالأندلس حضارة، وتنزل آثارها كذلك على إفريقيا،
وسطاً وغرباً.. وقد تمتد نبضات الدفع الحضاري، شرقاً، وشمالاً إلى وسط آسيا..
نتذكر كل هذه الحضارات التعليمية والثقافية والاقتصادية والسياسية المشهورة، هنا
وهناك.

لكن جملةً، كل هذه المنظومة من الحضارات الإسلامية، بدأت تتهاوى، وبدأت
تتنزل إلى دركات من الانحطاط، ولم تكن في فراغ من العالم.. هبطت إلى الوادي والجبال
من حولها من بعد حضارات أخرى.. أصبحت المياه تنصب إليها، وبدأ يشتد الضغط
لتهب الرياح عليها.. وضعف الدين تماماً في نفوس المسلمين.. وأصبح الانتساب إلى
الإسلام هوية تاريخية، ومظاهر، وشعائر.. وتضاءل الإيمان بالغيب ونقص، وربما تخلفه
عقائد سحر وخرافات، ومزاعم بركات لبعض الطقوس، تسد الغيب الذي بدأ يغيب
عن قلوب الناس.

أما أصول الدين فلم تعد إلا محفوظات وأصوات.. القرآن أصبح محفوظة
صوتية.. الأحاديث ليس فيها تحليل للمعاني، فضلاً عن تحديد لمعانٍ متجددة في وجه
ابتلاءات جديدة.

وحدة الأمة تمزقت، وتحول المسلمون وتقطعوا إلى عصبية شعوبية من قديم
الزمان، بدأت تغشاهم، وإقليمية، وطائفية، ومذهبية في علم الظاهر من الفقه
الظاهري مذاهب، والفقه الباطني طرفاً صوفية..

ووحدة الشريعة بدأت تتفتت.. وانفلت من إطار الدين السلطان والحكم
والسياسة.. الشورى التي كانت تجمع الناس بكل دفعهم السلطاني المتدين بدأت
تغيب حتى من أصول الدين، وهي الأصل الثالث في الدين بعد الكتاب والسنة،
حيث إن الإجماع هو قرار الشورى بالطبع، لكن هذا سقط في الواقع.. وبدأ الطاغوت

والظلم هو الذي يتحكم في المسلمين.. والمعاش كذلك بدأ يخرج من أن يكون نعمة من الله إلى أن يكون متاعاً للحياة الدنيا.. وإذ ضَعُفَت الدوافعُ لأن يطلب الإنسانُ ما يسخره له ربه، فيزداد تديناً، بدأ يضعف كسبه الاقتصادي، وبدأ الفقر يدخل عليه.

وانفلت العلم كذلك من وحدانية العلم، فخرج العلم بطبائع الأشياء بعيداً من العلم بالمنقولات التي يسمونها شرعية.. فهذه ماتت.. وغابت تماماً كل العلوم التي نهضت أيام المسلمين الأولى.. وحتى العلوم المنقولة تماوتت جداً لأنها أصبحت محفوظات ثم منقولات وحسب.

المجتمع أيضاً فسدت أخلاقه، وأوكلت الفضائل في الحياة إلى الشيوخ، مثلما يصيب كل الديانات.. واستضعفت النساء، وكاد أن ينشل نصف المجتمع في معظم بلاد العالم الإسلامي.

وروح التصدي للتحديات والجهاد فترت همتها في نفوس الناس.. اللغة الدينية كلها بدأت تتحول.. فاللغة التي تحمل القرآن، اللغة العربية، بدأت تتقلص.. موسوعتنا العربية بدأت تتقلص إلى عُشر الكلمات.. كانت تتحرك وتمتد بالسطح وتتسع لتستوعب الحياة الكثيفة المتزايدة تزايد الإيمان، ولكن بدأت تتقلص مع تقلص الدين.. وذبلت كلمات مثل كلمة عبادة، وكلمة دين، وكلمة شريعة، وكلمة اجتهاد، وكلمة فقه.

الفقه الذي هو الفهم العميق لم يعد سوى ذاكرة، يمكن أن يحسنها الأطفال. والعبادة - وكل الحياة عبادة لله.. وما خُلق الناس إلا ليعبدوا الله - انحسرت.. انحسر مفهومها، وأصبحت البقية قد تسمى معاملات، وقد تسمى أشياء أخرى..

المشروع الحضاري الإسلامي.. تاملات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

حتى اللغة نفسها كانت تعبر عن هذا العجز.. ويداول الله الأيام بين الناس.. حتى الذين أمدهم المسلمون بثقافتنا الدينية فأخذوا من المسلمين القانون الدولي ومعاملات الشعوب، وأخذوا منهم القانون الدستوري ومعاملات السلطان، وأخذوا منهم علوم الفلك وعلوم الطب، حتى هؤلاء تناولوا علومنا وثقافتنا وبدأوا ينهضون بها، والمسلمون الذين أعطوها ذبلت في أنفسهم.

فبدأ الغرب ينهض بنور علمي، لا ديني، خرج من الدين تمامًا، لأنه خرج من الكنائس.. وبدأت تظهر حاجات وضغوط وطبقات جديدة لا تجد مجالاً في إطار الكنيسة التي تحتكر السلطان ظلاً لله في الأرض، فخرجت منها ثورات، ملوگًا وثواراً انفلتوا تمامًا، وخرجوا بالسياسة كلها من الدين.. وفلتت كذلك الطبقات الحديثة التي كرهت التحالف الكنسي الإقطاعي.. طبقات التجديد الاقتصادي البرجوازي خرجت من الدين تمامًا رغم أن الكنائس حاولت أن تغازلها وتسايرها بتحليل الربا، ولكنها انطلقت وتركت الدين وراءها، وهجرته.

وخرج الفن كذلك من الكنيسة كما خرج العلم بعد أن احتكروه وحاصروه. هؤلاء امتلأوا - ومعلوم أنه بمجرد أن تملأ الحضارة كياناً أو أرضاً تفيض كما يفيض الماء إذا ملأ الكوب - وبدأوا يفيضون، وبدأت تحملهم روح إمبريالية عدوانية، لأنهم خرجوا من الدين لا يعلمون ميزان عدالة في الأرض.. وأصبحوا يلقون على الناس، استغلالاً لطاقتهم وثمرات أرضهم.. وأصبحت أرزاقهم كلها كذلك لهم.. وعدواناً على الناس، بل مبالغة في العدوان، بالاستعمار المشهور.. أخذوا يفرضون أنماطهم الاجتماعية على الناس، لأنهم يزعمون أنهم هم الذين يمثلون التاريخ، والآخرون سذج ليس لهم إلا أن يكونوا قردة مقلدين.

الانبهار والتحدي

لقد أصبح المسلمون فريسة وهدفاً لتجارب الغرب.. فتجارب الغرب مع الدين أيدت هجرة المسلمين لدينهم، فأكدتها عليهم.. الغرب خرج من الدين، والمسلمون كانوا قد خرجوا من الدين من قبل، في الحياة العامة والمعاش وغالب العلوم والفنون، وحصروه في دُور محدودة وشعاب خاصة من الحياة، فجاء الغرب ليؤكد لهم ويطلع عليهم هذه الحياة المارقة من الدين.

أصبح المسلمون يعجبون بالغرب ويقلدونه.. النماذج الاجتماعية الغربية فتنتهم.. والثقافة الغربية غلبت عليهم تماماً.. وأصبح الناس يوالون الغرب، حتى الذي يتسلط على المسلمين سلطاناً، لكنه تسلطٌ تحت وطأة سلطان الغرب عامة.. لقد كبت الغرب الدين عند الناس.

وربما كان ذلك لأسباب تاريخية، فقد كان المسلمون في نهضتهم يتسعون على حساب الغرب وطوائفه.. لذلك حرمهم الغرب من الدين، وكبته في نفوسهم، حتى لا يحدث المسلمون أنفسهم مرة أخرى بالانقلاب على الغرب.

لا شك أن التحديات دائماً هي التي تحرك التاريخ.. والشعوب التي تنقطع من حركة الإنسان في الأرض كالشعوب الأفريقية جنوباً، تظل جامدة هامدة.. لكن الشعوب التي تكون هي عرضة دائماً لحركات، فإن التحدي يستفزها، فيقوم فيها التصدي لذلك.. فالمسلمون كانت لهم مشروعات نهوض بحالتهم التي انحطت عن قيمهم، وعن مستويات كسبهم، ودفعاً كذلك للآخرين، دفاعاً أول الأمر.

القرنان الماضيان شهدا حركات فيها بقية من مشاعر دين تقليدي، حفظته بعض الموروثات وحفظه بعض الصالحين من الناس، وفيه مشاعر قومية نتيجة للاستفزاز الأجنبي الذي هجم على الوطن أو على القوم.. هذه الصدمات جمعت الناس أيضاً

المشروع الحضاري الإسلامي.. تـأمـلات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

لقوميتهم واستفرتهم، فقامت حملات للاستقلال والعزة القومية والوطنية.. كما أن مشاعر الظلم والاستغلال والتسخير والسلب، الذي فُرض على المسلمين، حركهم، يتبعون العدل واسترداد الحقوق والأمانات، لا سيما أن الغرب بدأ يدخل بقوته يصطرع في حروب أنهكتها إهناكاً شديداً.

قامت مدافعات برؤى وحركات كان بعضها سافراً يريد أن يهجر الدين.. سافراً صريحاً، متجاهلين تاريخهم مقارنة بالغرب.. فالمسلمون، إنما كانت نهضة العلم عندهم من نهضة التدين.. وسعة الأرض مع نهضة التدين.. والعدالة مع نهضة التدين.. وكان ذبول التدين في نفوس الناس مع ذبول العلم، والذل بعد العزة، والفقر بعد الغنى. أما الغرب فقد كان عكس ذلك، لأن الدين في الغرب لم يكن ديناً حقاً.. كان دين الكنائس، فكان يتحرك عكس حركة الدين الإسلامي.. ولما كان الدين جاثماً في القرون التي يسمونها مظلمة عليهم، وكان الإنسان معطلاً كله، لأنه لا يصل إلى ربه إلا من خلال أبواب القديسين، كان العلم جامداً، والكسب الاقتصادي معطلاً، والفتح العالمي محاصراً.. ولكن عندما تحرروا، انطلقوا وانطلق كل شيء .

لذلك فالغربيون يقرأون التاريخ هكذا: لكي تنهض، تحرر من دينك.. ولكن طائفة من المسلمين، تقليداً للغرب، نسوا دينهم ونسوا تاريخهم، وعبرة تاريخهم التي هي عكس تلك العبرة.. فنجد الآن بلاداً تكتب صراحة في دساتيرها أن الدولة لا دينية! بالطبع مثل هذه الكلمات الغربية نحن لا نعرف لها معنى في ديننا.. لا نعرف من هو الدهري ومن هو الأزلي فينا.. فليس فينا الديني العالمي، من هذا العالم، والذي من العالم الآخر.. كلنا من هذا العالم وإلى العالم الآخر.. فالطريق عندنا واحد، نبي هنا لنستثمر ببناءنا في العالم الآخر.. لا نعرف من هو المقدس من البشر

ومن هم العوام.. الناس كلهم يمكن أن يتطهروا ويتقدسوا بطهارةٍ أو يتنجسوا بنجاسة فينتكسوا.. كلهم سواء في ذلك.. ولكن في غرب أفريقيا مثلاً، بلاد كثيرة تكتب في دستورها ذلك.. وحتى في بعض بلاد شمالي أفريقيا، خرجت أصوات صريحة تدعو لترك الدين، بعيداً من الحياة العامة.

وبعض بلاد المسلمين اليوم كما هو معلوم ماذا جرى فيها.. كانت فيها إرادة كاملة، وطمس للدين بالقوة لا بالعقيدة.

وحتى فارس في أيام الخلافة العباسية الثانية قام فيها كتاب يقولونها صراحة - حسب المذاهب العلمانية الحديثة- الخليفة رمز يُدعى' له بالمسجد، وتضرب باسمه السكة، ولا شأن له بالحياة، أما السلطان فهو الذي يتولى الحكم ولا شأن له بقضايا الدين.

هناك بلاد أخرى لم تكن صريحة سافرة ضد الدين.. لكن روح الوطنية وروح الدفع القومي والنضال ضد الغرب غمر روح التدين تماماً في الحياة العامة، عملاً لا قولاً، وروح النهضة وحبها.. ويلتمس النهضة إما ليبرالياً تحريماً مع الغرب، في منهج الحكم والاقتصاد، أو اشتراكياً إن كره الغرب.

من مشروعات النهوض

ولكن بدأت مشروعات تدافع الهجمة الغربية والغزو الغربي إسلامياً، وبعضها كان في أواخر القرن التاسع عشر، وكان ثقافياً- جمال الدين الأفغاني، مُجد عبده- وكان ضد اللادينية العالمية، وكان من أجل وحدة العالم الإسلامي.

لقد قامت حركات ثقافية، بعضها أصولي، وبعضها عصري فيه روح من الكفاح، كما في فلسطين ومصر والجزائر.. حيث غلب على بعضها الروح الإسلامية، وعلى بعضها الآخر روح ثقافية عصرية، فيه قليل من الدين.

المشروع الحضاري الإسلامي.. تاملات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

ولكن غالب الحركات كانت جهادية .. فقامت السلفية الجهادية مثلاً في الجزيرة العربية.

ولم تقتصر الجهادية على السلفية، ولكن بعض الجماعات الصوفية أيضاً كانت دعوة جهاد في أغلب مناطق العالم الإسلامي.. في أفريقيا مثلاً، كل المجاهدين ضد الغرب، حملهم أولاً الزهد في الحياة، والتوكل على الله.. ونظام الجمعيات الصوفية كان يهدف إلى تمتين الصف الإسلامي في وجه الآخرين.. بدءاً من الصومال (مُحمَّد أحمد حسن) على سبيل المثال، إلى السودان والمهدية (مُحمَّد أحمد المهدي).. ومن قبل ذلك نيجيريا.

وآسيا كذلك، فإندونيسيا أيضاً قامت بالدفع الذي يزهك في الدنيا وأن لا تبالي في سبيل الله، أن تستشهد.. كما قامت حركات وسط روسيا ضد الغزو الشيوعي.. وفي الهند قامت ثورات بعد ثورات.. وكذلك كان الحال في أفغانستان.. غالب هذه الحركات لم تفلح كثيراً، لأنها كانت مقاومات، في آخر قوة العالم الإسلامي، استفزه هذا الهجوم، وبعد ذلك انحط.

لكن المشروعات النهضوية الإسلامية، كانت تسعى نحو مشروع إسلامي متكامل، لا يحرر الناس فقط، لا يبطل الباطل ولا يهدمه وحسب، لكن يريد أن يبني الحق.. لا يصوب نحو قتل العدو ليقتل بشراً، بل وراء ذلك مقاصد وأهداف في الحياة.. هذه الحركات الإسلامية، لم تكن في الغالب كاملة المناهج في الحياة، لأنها أساساً كانت تُعنى بالدفاع أول الأمر.. والذي يدافع ينشغل عادة بهدم الباطل أكثر من إحقاق الحق، لا سيما أنها لم تجد مجالاً للحرية، وإذا وجدت مجالاً للحرية لجادها الناس واضطروها لأن تدفع بالإسلام في كل جوانب الحياة، ولكن المبدأ نفسه كان مرفوضاً، وكانت تقف على شعار الإسلام الأول: الإسلام هو الحل.

لم تتمكن من الحريات حتى تقيم أنماطاً اجتماعية واقتصادية، ولو صغيرة، تستطيع أن تبني عليها في آخر الأمر.. كما كانت محدودة القواعد لقلّة الحريات والآثار..

كانت هناك حركات تركز على الثقافة أكثر، في شمالي أفريقيا مثلاً أمموج مالك بن نبي.. وهناك حركات في العالم الشرقي من البلاد العربية، امتد إلى الغرب، وهي الحركات الإسلامية المشهورة الأسماء.

وإلى جانب هذه الحركات، التي قام بها من وحدوا العصر إلى الأصل، قام علماء كذلك في العالم الإسلامي..

وفي آسيا قامت جماعات إسلامية، بعضها من العلماء وبعضها من المحدثين.. وفي تركيا كذلك، وتحت وطأة الحملة اللادينية التي جثمت عليها، نبع من جديد اتجاه إسلامي، كلما ضُرب منه وجه نشأ بوجه آخر واسم آخر. حتى في إندونيسيا هناك جماعات إسلامية واسعة.. في أوروبا وأمريكا، بدأت تنشط جماعات..

من سنن التغيير:

لكن لا بد من الإشارة إلى أن المشروعات النهضوية أو ما يسميه بعضهم بحركة الإسلام السياسي محاربة اليوم بشدة في كثير من بلاد المسلمين، وتلك هي السيرة السنية.. سنن السيرة في الإسلام تكشف عن أنه ما دام الإسلام في خاصة حياتك فإن أصحاب السلطان لا يعنون بك، ولا يغارون منك، يتكونك في الخلاوي تذكر أذكارك وتسبح تسايحك وتقلب أوردك، أما إذا دخلت تتحدث عن الشورى، تريد أن تصوب مسيرة السلطان وترد الأمانات إلى أهلها من الشعب، وتتحدث عن

المشروع الحضاري الإسلامي.. تاملات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

النصيحة، تريد أن تتفصح وتتفصح في وجوههم، وتحديث عن أن الشريعة فوقهم، تريد أن تضبطهم، وهم يريدون أن يعربدوا بالسلطة بغير حد، فإنهم يمنعونك.. وهذا أمر طبيعي، وتلك سنة .

فما يصيب حركة الإسلام السياسي هو أمر طبيعي جداً.. وإذا قرأنا القرآن، أي سورة من سور القرآن، نجد فيها معنى من معاني الجهاد، لأن الأمة لا تبنى أصلاً إلا بالجهاد.. وفي مكة، رغم أن الناس يحسبون أن الآيات المكية ليس فيها كثير من السياسيات، إلا أن الحقيقة غير ذلك، ففيها سياسيات كثيرة جداً، لكن الناس لا يرونها.. فيها الشورى، والقتال، والمساواة، والإنفاق، وتوزيع المال العام وغير ذلك.. كان القرآن يهيب المسلمين في مكة بتلك السياسيات لتطبيقها في مرحلة الدولة، حتى لا يصبحوا كـ بعض إخواننا اليوم الذين لم يتهيأوا إلا للجهاد فقط، فأحسنوا واستشهدوا في سبيله، ولما جاءت الدولة ارتبك عليهم الأمر وأرتج.

ولكن إذا طغى في الأرض قوم جبارون، وظننا أننا لن نستطيع أن نتصدى لهم أبداً إلا أن يخرجوا هم من مواقع السلطة، فيأتي من يدخل عليهم بدين الله وشريعة الله، بينما نريد نحن أن نجلس في خلوة، كخلوة سيناء، كما فعل بنو إسرائيل من قبل، فستضيع أربعون سنة.. ولكن سيأتي يوم وتأتي من بعدنا أجيال تقول: نريد ملكاً نقاتل في سبيل الله، فيذهبون ويقاتلون ويننون دولة الإسلام.

ولكن الدول التي تقوم فيها حركات الإسلام السياسي اليوم لا يمكن وصفها بأنها دول كافرة هكذا بإطلاق، لذلك أسأل الله أن لا تتبدد طاقاتنا في صراعات بين الرعية والراعي.. وأسأله تعالى أن نصبوب طاقاتنا كلها برفق لنبني ديننا، لا لنصطرع بها رعية وراع، ولا قطراً وقطراً، لا أفقياً ولا رأسياً، إن شاء الله.

وكثيراً ما أتحدث إلى الرعاة، وأقول لهم: لم لا تقودون أنتم إسلامية الحياة العامة؟

فالإمام إذا سلك السبيل فالرعية وراءه.

ويأتي الغرب كذلك من هناك، لأنه لا يريد للإسلام أن يدخل هذه الساحة أصلاً.. هو يدعو للحرية وللديموقراطية، ولكن أيما ديموقراطية تلد إسلاماً أو تحمل إسلاماً لتلده، يُجْهَض فوراً، هذه سنة عندهم، يشاهدها المرء ويراهما من حوله.. لذلك فإن دفعة الإسلام ليتمكن في الحياة العامة لا تأتي أصلاً إلا بدفعة جهاد.. ودفعة قوة ضد هذه القوة الأجنبية، وليس بعضنا ضد بعض.. وبعد ذلك فإن الإسلام لا يقوم على القوة والإكراه، إنما يقوم على الرضى.. فلا إكراه في الدين، ولا إكراه في السياسة، ولا إكراه في الزواج، ولا إكراه في المعاملات المالية.. فالحياة كلها دين عندنا.. ولا إكراه في الدين يعني: لا إكراه في أي مجال من مجالات الحياة كلها.. لكن الإنسان إذا اضطر وانكبت وتعباً، انفجر، وهذا قانون طبيعي وقانون سني.

لكن الثورات فيها تكاليف.. كل الثورات، فرنسية كانت أو أفغانية، مسلمين أو غير مسلمين، أسأل الله أن يجنبنا أن نتعباً تحت الأرض ونتعباً ولا نجد متنفساً حتى ننفجر.. والغريون لا يسمون هذه ثورة، بل يسمونها إرهاباً.. ما يجبونه يسمونه ثورة.. ولكن نسأل الله سبحانه وتعالى أن تقوم حركة الإسلام السياسي متاباً للرعية والراعي معاً، إن شاء الله، ولو تدرجاً ورفقاً نحو الإسلام.

الابتلاءات العالمية

لكن القضايا التي تواجه الإسلام الآن، غير الضعف الذاتي، هو الابتلاءات العالمية.. العالم كله أصبح يتقارب ويتوحد، والإنسان أصبح يندرج في نظام عالمي، بدأ تتكشف شعابه، ويتبلور ويتطور، ويتركز.. أصبحت للغرب قوة ومخاطر أن يعولموا ويقولبوا العالم الإسلامي على نمطهم تماماً.

الثقافة العلمية، علوماً وفنوناً، أصبحت تحملها إلينا مناهج تعليم وجامعات

المشروع الحضاري الإسلامي.. تـأمـلات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

ووسائل إعلام واتصال ونشر.. والأنماط الاجتماعية، الجنس وتجاوز الأخلاق، أصبحت
تطغى على المسلمين.. وأصبح المسلمون يتصلون بغير الإعلام بالسياحة والتزاور
والمنظمات غير الحكومية..

القوة المادية، صناعة وخدمات، التي تدخل على المسلمين تشغلهم بمتاع الحياة
الدنيا عن الآخرة، أصبحت تحملها أسواق نقد وعملة وشركات عالمية ومعايير ربوية،
تتصل شبكتها وتحيط بالعالم.

وحتى الهجمة السياسية، نفوذاً وتدخلًا وفتنة بين المسلمين، وكتباً حتى للروح
الوطنية فضلاً عن الروح الأصولية الإسلامية، وقدوة سائدة باسم المعاني، ديمقراطية
مثلاً، أصبح المسلمون لا يتحدثون إلا بهذه المناهج والمذاهب: الديمقراطية، حقوق
الإنسان، وهي لغة لم يعرفها المسلمون من قبل. لأنهم كانوا ينظرون إلى الله سبحانه
وتعالى من فوقهم، أما الآن فلأن الإنسان أصبح يعتقد أنه ليس فوقه شيء، لذلك بدأ
يتجه للبحث عن حقوقٍ له!!

حتى العسكريات، سلاحًا وصناعة حربية، أصبحت تمكن الغربيين من أن يعدوا
مباشرة على المسلمين.

الغرب بدأ يتجمع .. أمريكا بدأت تتجمع، تجمع شماليها وجنوبيها ليتقوى..
أوروبا التي أهلكتها من قبل الحروب، وهي حروب أهلية بينها، بدأت تتجمع الآن..
القوي والأقوى بدأوا يتجمعون في وجه الضعيف الذي يشاقق أخاه الضعيف، ويبدد
طاقاته كلها.. كل طاقات الضعفاء تنبدد وتتساقط وتتخاصم بينهم.

كان يمكن لهذه العالمية أن تكون فرصة للإسلام.. لم يكن يتيسر للمسلمين من
قبل عالمية الاتصال والانتقال بين الشعوب، ولكنهم ركبوا العسير حتى يصلوا أطراف
الأرض كلها، لينقلوا إليهم رسالة الإسلام، وتيسر لهم ذلك في سنوات.. الآن الإسلام،

أصبح هو الدين العالمي الوحيد.. ليس في العالم من دين غير الإسلام.. الإسلام الذي ورث الكتاب، والكتاب هو دين إبراهيم، وهو الإسلام.. والذين تسموا باسم تركت إبراهيمية أخرى وزيفوها وحرفوها، ماتت.. غالب الأوربيين لا يدينون لا بإله ولا بعبسى عليه السلام.. إنهم يعيشون فراغاً كاملاً.. الغرب أصبح لا دين له.. والفراغ أسهل شيء تستطيع أن تدخل عليه، لا يزاحمك شيء.. ولا يصدك شيء.. ليست لهم مذاهب الآن.. أصبحوا بعد ذهاب الدين اشتراكيين أو محافظين.. الأحزاب الآن في الغرب انهارت تماماً، وأصبحت عبارة عن عصابات، تتنافس وتتداول على السلطة فقط.

التدهور الاجتماعي في الغرب

- القوة البشرية:

الغرب يتدهور الآن، اجتماعياً بخاصة.. قوته البشرية السكانية بدأت تجرد أو تتناقص في كثير من البلاد، ويتمون أنفسهم الآن بالهجرة فقط، حتى لا ينقص العدد.. أصبح الجنس يشغلهم عن قضية الولادة، فهم يريدون متاع الجنس وحده، ولا يريدون تكاليف الاستثمار الجنسي، حتى لا يتحملوا تكاليف المولود، وتربيته، لأنه إذا تربى يهجر عند البلوغ ولا يعنى بك بعد ذلك، فأنت خاسر، فلماذا إذن تحمل كل هذه التكاليف؟

- الأسرة:

الأسرة في الغرب بدأت تتحلل.. حالات الجوار وبناء الإنسان، وكل أطر البناء البشري، بدأت تتحلل.. والبشر هو أصل الحياة.. ولا يظن أحد أن القوة هي الصناعة.. كان الناس بالأمس يحسبون أن الصناعة هي كل شيء.. والزراعة كذلك.. ولكن الآن يمكن أن تزرع في حقل صغير وتنتج أضعاف ما ينتجه آخرون..

المشروع الحضاري الإسلامي.. تاملات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

كما يمكن بالتقنية الحديثة أن تفعل كذلك ما لا تفعل الصناعات.

- الفساد:

الفساد.. لقد أصبحت المجتمعات الغربية كما هو معلوم كلها نفاق وفساد، وأصبحوا هم يعترفون بذلك.. كل حياتهم تقوم على النفاق والكذب والزيغ.. وإذا قارنا بين الغرب وآسيا، فلماذا تنهض آسيا؟ لأنها أصلاً قائمة على الجماعة والاستقرار والمؤسسات الاجتماعية وعلى الوحدة، لا على الهوى الشخصي والأنانية وشح النفس، الذي ضرب الغرب تماماً الآن.. آسيا الآن تنهض، وتسعد.

فالناس يحسبون أن سعادة الإنسان هي أن تحصي الدخل القومي، وتقارن بينه وبين الدخل القومي للآخرين، فتقول: إن هذا البلد أسعد من البلد الآخر.. ولكن الغربيين الآن اكتشفوا بأنفسهم أن السعادة قد يفتنها الفقير، ولكن قد يفتنها الغني أيضاً، ويفسدها ذلك.

والمعرفيات والتقنية نفسها أصبحت تتحرك في العالم بيسر، حتى ولو حاول الغربيون أن يحتكروا السلطة في العالم، ويحتكروا النظم العالمية، ويحتكروا المال، ويحتكروا العلم.

التدهور الاقتصادي في الغرب

اقتصادياً، الغرب بدأ يتضاءل.. كان نصف إنتاج العالم في أمريكا، أما الآن فقد نزل.. وكذلك الحال في بريطانيا.. أما الصين، فكلهم يعرفون أن الصين في السنوات الأولى من القرن الجديد ستدرك أمريكا.

الثقل السكاني العالمي اليوم أصبح في الشرق لا في الغرب، وعند مشرق الشمس لا عند مغربها.. والنهضات في المشرق اليوم قفزات، قفزة قفزة، لا كحركة الغرب درجة فدرجة.. والغرب نفسه يقول ذلك.. الأمريكان يقدرون المستقبل لسنة ألفين

وعشرين، ويقولون: إن الصين في عام 2002 ستكون قد أدركت أمريكا، أما في سنة 2020 فتكون قد تجاوزتها بعيداً.

الغرب بدأ يضعف، وهم يعلمون أن المال يتحرك.. مالنا تحرك إليهم، بكل أسف.. من تحت أقدامنا.. ولكن المال يتحرك الآن منهم إلينا.

المسلمون أصبحت لهم فرص فاتحة وواعدة.. وهذه الفرص لا أقول إنها مباحة لهم، ولكنها واجبة عليهم.. الحوار ليس سماحة من المؤمن ولكنه أداء للواجب.. فأن يبدأ المؤمن بالحوار والتحية، فلأنه هو المكلف بأمانة الرسالة.

الغرب الآن يضمحل.. هذه حقيقة.. والعالم هكذا.. والمسلمون هكذا.. عندما فتنتهم الثروة والسلطان في الأرض، لم يأخذوا بقوله تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (الشرح:7)، وإنما أخذوا بـ (إذا فرغت فارتاح).. ارتاحوا.. فذهبت عنهم الحضارة.

أمريكا نفسها تقول اليوم شيئاً من هذا.. كتابها يقولون: هذه نهاية التاريخ، لأنهم لا يريدون للتاريخ أن يتحرك، لأنه إذا تحرك تتحرك الحضارات من موقع إلى موقع، وتتحرك القوة كذلك.. والله يداول الأيام بين الناس.. فهم يريدون أن يثبتوا التاريخ حتى تبقى أمريكا هي رب العالم، لكن التاريخ لا يثبت ولا يجمد أصلاً.

حتى بالنسبة لأوروبا، فهي الآن تتجمع كلها، وأمريكا تغار منها، وتريد أن تخرسها ضد الإسلام.. وهناك الصين.

العالم الآن يتكتل كتلاً ضخمة، وبعد قليل سيتوازن.. الآن أصبح كله مرجوحاً بكفة واحدة.. بالأمس كنا نكره الشيوعية، ونسأل الله أن يقضي عليها، ونسينا أن حكمة الله سبحانه وتعالى فيها أنها تحفظ لنا توازناً في العالم.. ما كان الأمريكان يجرأون علينا أبداً، بالعكس كانوا يتوددون إلينا، بالمعونات وبغيرها.. وحتى لو

المشروع الحضاري الإسلامي.. تـأمـلات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

قتلناهم في بلادنا، كما قتلوا في السودان من قبل، حيث قُتل إرهابيون فيه، لم يقولوا كلمة واحدة، لا كلمة إرهاب ولا غيرها.. فإله سبحانه وتعالى عنده حِكْمٌ، وعسى أن تـكـرـهـوا شـيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً..

توحيد الوجود بالدين.. أساس مشروع النهوض:

لذلك فإن المشروع الإسلامي لمستقبل النهضة بعد الانحطاط، والتصدي لتحديات الغرب، هي أنه لا بد أن نوحّد الوجود الإنساني بالدين.. مرة أخرى إن شاء الله نبعث الإيمان بالغيب في أنفسنا.. فالإيمان بالغيب يكاد يتلاشى.. هناك محفوظات كلامية أحياناً، لكنها على اللسان فقط.. حتى بعض خريجي المعاهد التي تخصص في هذا ليس في نفسه من الدين شيء، إلا قليلاً..

- توحيد الباطن والظاهر:

والباطن والظاهر، لا بد أن تتوحد، فقد مرض المسلمون كما مرض الغرب حيث الدين أصبح ظاهراً، ولكن قامت ثورة في الغرب احتجت على ذلك.. إن الله لا ينظر إلى الصور ولكن ينظر إلى القلوب التي في الصدور.. المسلمون كذلك قامت فيهم حركات احتجاج، ومعظم حركات الصوفية قامت لتقييم الدين، ولكن تباعد الاثنان.. وحتى الصوفية نفسها تحولت في نهاية الأمر في كثير من مظاهرها إلى ظاهريات.

هذا الفصام، بين الباطن والظاهر، والشهادة والغيب، لا بد أن نواجهه الآن ليعود كما أراد الله به في كتابه وسنة نبيه، لأن كل ظواهر حياتنا لا تتسق ولا تنشط إلا بهذا.. لا بد أن نوحّد الزمان والأزل.. متاع الحياة الدنيا لا نتجاوزها، فليس الدين هو أن تترك الدنيا وتهجرها تماماً، ولكن في الوقت نفسه ليس أن تتركن لها وتتخذ

إلهك هوك، وإنما أن تتخذها مطية للآخرة، أرض الجزاء..

- تنشيط حركة التخطيط (دنيا الماضي والحاضر والمستقبل):

كان ينبغي على المسلمين أن يكونوا هم رواد حركة التخطيط في العالم لأنهم ينظرون إلى الأزل، فضلاً عن بضع سنوات.. لكن واقعهم يقول بأن التخطيط والاستراتيجيات أصبحت تأتي كلها من الغرب.. لقد أصبح المسلمون يكيون على وجوههم ولا يرفعون رؤوسهم.. الماضي لا نقطع عنه منذ تجربة آدم في السماء، عبرة وعظة.. وتكاليف الحاضر لا يكفيننا عنها أن نتكل على الماضي ونقول: كما قال أهل الكتاب من قبلنا نحن أبناء الله وأحباؤه، لأننا أبناء مسلمين.

نحن كمسلمين مطالبون أن ننظر للمستقبل أيضاً، ولا ننظر إلى الحاضر فقط.. المسلمون الأوائل تميزوا بأنهم كانوا يتوكلون على الله حق توكله، لذلك لم يروا روما وبلاد فارس شيئاً ضخماً.. كانوا يؤمنون بأن الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة.. وأن الله إذا أمدك بالقوة يمكن لبعوضة أن تقتل فيلاً! والتوكل لنا مثلما كان لهم.

نحن الآن لدينا من عالم الشهادة شواهد، أرقاماً وإحصاءً، بديل الإيمان، لأن إيماننا قد ضعف.. فلو قلنا للناس توكلوا على الله سبحانه وتعالى كما توكل سلفكم من قبل، لتوقفوا وأخضعوا الأمر لحسابات مادية فقط. لكن المسلم إن اتقى الله لجعل له من كل ضيقٍ مخرجاً وفرجاً، ولرزقه من حيث لا يحتسب.

المستقبل هو رقي إلى الله سبحانه وتعالى.. فلا بد من التخطيط، ولا بد من الدفع على التوكل، ولا بد من توحيد شعاب الحياة مرة أخرى.. نتوب بكل الحياة إلى الدين.. في المجالات كلها.

- انقشاع العلمانية:

المشروع الحضاري الإسلامي.. تاملات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

ففي مجال السياسة لا بد من أن تنقشع العلمانية من نفوسنا.. معظم البلاد الإسلامية علمانية إلا بضع بلاد فقط، لذلك أصبح عالم الشريعة يفتيك في بعض خواص أمرك فقط.

هذا تغيير لا بد أن يحدث، وأحسب أنه من العسير أن يحدث، لأن هذه المنطقة هي المنطقة التي تستفز الغرب، فينقلب عليك إن حدثتلك نفسك بمثل هذا التغيير، ويحاول أن يضربك الضربة القاضية، كما حاول مع بعض الناس الآن، الذين يسعى لوأدهم في المهدي قبل أن تقوم ظاهرة وتصبح نموذجاً وقوة تعدي، لما يسمى هو ذلك مرضاً.

- توحيد الدين والمال:

يجب توحيد الدين والمال والمتاع ضد المادية.. بالأمس، علمتنا الصوفية التي انتشرت في العالم الإسلامي كله لسنوات طويلة، أن الفقر لا يضر المسلمين في شيء ولا يفتنهم، خاصة عندما انحط المسلمون إلى الفقر بعد الغنى.. ولكن من يوحدنا بإيمانيات أخرى حتى نسعد بالمال؟ لأنه عندما هجم المال على المسلمين، لم يكونوا أهلاً لذلك.. ولم تكن أوعيتهم مهيأة لتتسع لهذا المال.. لذلك انكسرت أوعية التدين في أنفسهم.

المسلمون الآن في حاجة إلى حركة تجديد.. لا بد من أن تقوم نهضة جديدة في حياة المسلمين.. لا بد أن يزيد المسلمون كسبهم حتى يزيد أجرهم عند الله.. ويزيدوا نعمة الله عليهم فيزيد كسبهم عند الله، وتطيب الحياة.

لقد أصبحت النهضة الاقتصادية هينة اليوم، وبعض الدول الآسيوية دليل على ذلك.. فإذا كانت بعض البلاد، حتى بالدوافع الوطنية يمكن أن تنهض وتقفز بنسبة 6%، 10%... إلخ، فما بالك بالبلاد المسلمة التي إذا تعبأت بالدين، فضلاً عن الديار

والأموال والحرص على عاجل الحياة الدنيا وأرباحها، يمكن أن تحدث ثورات اقتصادية في العالم بزيادات تدرك الذين تقدموا علينا وبدأوا يتباعدون عنا، من تقدمهم وتباطؤنا نحن في التقدم.

- توحيد العلم:

توحيد العلم، هذه الثنائية التي ورثها المسلمون بعد أن دخل الإشراف حتى على العلم، فأعطوا الله قسمة ضيزى.. معاهد قليلة، علوم نقلية قليلة، أما بقية العلم كله والمدارس كلها فليس لله فيها شيء! هذه القسمة الضيزى، ماتزال تضرب كل المسلمين تقريباً، إلا قليلاً منهم.. لكن العلم واحد، كله لله، فأحكام الله القدريية التي يخاطب بها الأشياء وطبيعة الأشياء، وأحكام الله التكليفية التي يخاطب بها الإنسان المخير، كلها من الله، كلها علم واحد، لمعهد واحد.. سميت معاهد أو مدارس، لكن يبقى العلم واحداً، كله لله.. التعليم الأساس كله واحد، وبعد ذلك التخصص يمكن أن يذهب إلى مساقات هنا وهناك.

المسلمون لا يعرفون علماء.. وكلمة علماء لم يكونوا يعرفونها، حتى عند الصحابة.. فقد كان الصحابة كلهم علماء.. العلم كان ظاهرة عامة، الناس يتفاوتون فيه، بعضهم قد يكون أكثر علماً من أخيه.. ولكن بعد قليل هبط المسلمون من أن يشاركوا في العلم، وتركوه لمن أسموهم العلماء، فظهر العلماء حينها.. ولكن كلمة علماء الآن، مع انحطاطنا، أصبحت تكاد تصف بها علماء النقل فقط، الشرع المنقول، أما علماء المعقول فهؤلاء لا يسمون علماء!

القرآن نفسه لا بد من أن يعود مرة أخرى، لا يعود محفوظاً فقط، والحمد لله أنه عاد محفوظاً، ولكن لا بد أن يعود فقهاً ومتلوّاً، لا باللسان ولكن بالجنان والأبدان.. تتلوه حياتنا، ويتلوه عقلنا، ونستقر ونعمل به.

المشروع الحضاري الإسلامي.. تـأمـلات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

الاجتهاد، لم تعرف هذه الكلمة في نهضة المسلمين الأولى، ولكن بعد قليل تخصص فيها أناس وتركها الآخرون.. بقية المسلمين لا يجتهدون، وإنما اجتهد قليلون.. وأصبح التعريف يُحاصر ويحاصر حتى جعلهم قلة قليلة جداً.. الآن لا بد أن يتاح الاجتهاد لكل الشعب، لكل الناس، ولكل المؤمنين.. بحسب قدراتهم.. كل مؤمن يُجهد عقله حسبما تيسر له.. بوسع عقله وزاده يكون مجتهداً.. بالطبع بعض الناس سيكون أكثر إجابة من بعض، وبعضهم أكثر تسجيلاً وكتابة للاجتهاد من بعضهم الآخر.. لكن العلم كله لا بد أن ينتشر في قضايا العالم.

- توحيد الفن:

الفن خرج غالبه من الدين.. وهبناه للشيطان، والأدوات كلها وهبناها للشيطان.. ومن المعلوم أنه أيما أداة أو آلة في الأرض، حتى تلك الآلة التي ركبها الله في خلق الإنسان، يمكن أن نسخرها للشيطان، غيبة وغناءً فاجراً وهكذا، أو نسخرها لله سبحانه وتعالى.

المسلمون في حاجة لنهضة فنية، لأن الدين أصلاً لا يقوم في جانب دون آخر، بل يقوم في كل الحياة ومساقاتها.

- توحيد المجتمع:

المجتمع : قانون، أخلاق، وجدان... كلها لا بد أن تتوحد..
الذكر، بدل أن يكون شعائر وطقوس ظاهرة، لا بد أن يتصل بالحياة كلها.
لا نريد أن يصبح الدين هوية فقط، ولكن لا بد من أن يتحول فينا إلى فاعلية.
لا بد من توحيد سواد المجتمع والقوى الفاعلة فيه، لا أن تنفصل منه شرائح تسمى علماء، مجتهدون، رجال دين، مثلما هو الحال في تاريخ الغرب الكنسي.. ولكن

لا بد أن يفتح بعضنا إلى بعض.. لا طائفية، ولا أن ينغلق تنظيم دون الآخرين، ولكن لا بد أن نفتح دائماً.. لا نتخصص لكل الحياة، ولكن علينا أن نتكامل مع بعض.. الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي، بدأت أولاً منفتحة، لكنها انغلقت أحياناً كالطوائف، وأحياناً انحرفت وبعدت لأسباب أمنية وضغوط إلى صفوات من الناس، وهكذا.

وتوحيد المجتمع والسلطان.. وكما هو معلوم فإن السلطة، في الدين الإسلامي، هي بعد الشريعة للشعب: «إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ» (أخرجه ابن ماجه).. ولكن بعد قليل أخذوا ممثلي الشعب من العلماء، وقيل: إن المجتهدين هم الذين يحركون الإجماع، كما أخذ الغربيون أحياناً القضاة ممثلين للشعب.. لكن لا بد أن نرجع مرة أخرى إلى أصولنا.. الرعية هي أولاً قبل الراعي، وهي التي تقدم الراعي، وتختاره، وتضبطه.. ولا بد أن ينزل غالب الاقتصاد من القطاع الاقتصادي الرسمي إلى البشر.. وغالب العلم ينزل إلى البشر.. حضارات المسلمين كانت كلها جماهيرية شعبية.. الأندلس كلها لم تكن فيها ضرائب.. مدارسها، مستشفياتها، خدماتها، كلها كانت شعبية.. خيرها كله كان شعبيًا..

وحدة المجتمع المسلم، لا فردية وإنما جماعية.. ولا تباين عرقي، ولا لساني، ولا لوني، ولا رجال دون نساء.. المجتمع المسلم من غير توحيد مجتمع مشلول. لا بد أن نوحده أنفسنا.. نوحده بين الذكورة والأنوثة.. وهنا لا أتحدث عن حقوق النساء، ولست داعية حقوق وإنما داعية حقوق وواجبات كذلك.. داعية تكاليف أساسًا.. فالنساء لا بد أن يأتين إلى الانخراط في المجتمع، لا ليتمتعن بحقوق كن محرومات منها ومظلومات فيها، ولكن ليؤدبن واجبات وتكاليف، ويشاركن الذكور

المشروع الحضاري الإسلامي.. تـأمـلات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

في الحياة.. فالحياة كلها لا بد أن تكون شركة.

- التوحيد نحو الإنسانية:

لا بد من توحيد أمة المسلمين عبر العالم، دولاً تتقارب.. والدول الغربية التي علمتنا الوطنية والقومية وقطعت حدودنا، تجاوزت ما علمتنا إياه ونحن لا نزال وراء المذهب القديم.. الشعوب لا بد أن تتوحد: الحج، المؤتمرات، العلاقات الشعبية كلها. أيضاً لا بد من التوحيد نحو الإنسانية.. المسلمون وغير المسلمين في بلد واحد تجد أن من العسير عليهم أن يتحدوا.. بلد واحد يعاني اليوم كيف يقيم نظاماً إسلامياً وفيه قطاع مقدر من غير المسلمين! المسلمون هم أول نموذج قام، في المدينة، مبنياً على الإنسانية، وأول دستور كتب لدولة قام على وحدة الإنسان، وليس على وحدة المسلمين فقط..

لا بد أن ينهض المسلمون ليصلحوا نظام العالم المعوج ونظمه غير العادلة: نظام الأمم المتحدة، العلاقات الثنائية، ضرب الشمال للجنوب، الظلم الاقتصادي، والعلمي، والثقافي، واحتكار الثقافة، وهكذا.. لا بد أن ينهض المسلمون بالميزان وبعد ذلك يتفاعلوا إن شاء الله مع الآخرين.

فالمشروع الإسلامي الذي يستشرف المستقبل، هو أنه لا بد من نهضة بعد الهبوط نحو القيم، ومن أن نكون فراغاً يضغط علينا العالم بأن نمتلى إن شاء الله، ونعبر عن كل هذه القيم، أصالةً في اللغة، لغة القرآن التي ضيعناها، وفي الدين، وفي المذاهب، وفي الحركة، وفي الكسب، وفي الغنى.

لا بد من نهضة حضارية جديدة، حيث إن المحور الأساس لحضارة المسلمين بدأ

يذبل، فبدأت تنشأ له فروع في مناطق متخلفة، وبعد ذلك تلاشت ووهنت كلها. نحن نحتاج بهذا الدين لدورة حضارية جديدة، ودفعة حضارية جديدة إن شاء الله.. إن الله سبحانه وتعالى يداول بين الأيام.. لكن الحضارة الإسلامية ليست كغيرها من الحضارات التي تنشأ في مكان لتذهب إلى مكان آخر.. حضارتنا قامت وامتدت أكثر من الحضارات الأخرى، وإن ذبلت فنبتت حضارة أخرى لا دينية في الغرب.

فالدور دورنا، والمستقبل لنا، أن تقوم دورة أخرى وحضارة أخرى إن شاء الله.. ليست حضارة صدام ولكن حضارة تفاعل بين الإنسان.. وليست حضارة صراع وظلم واستعمار كحضارة الغرب، ولكنها حضارة للإنسان كله..

من الأرض الوسطى، التي هي أرض العرب، لا بد أن نقوم شهداء وأئمة على العالمين مرة أخرى، وتمتد جنوباً إلى الهند وإفريقيا خاصة، وتمتد شمالاً كذلك.. حضارتنا بدأت هنا في المنطقة الوسطى وصعدت شمالاً.. والديانات بدأت هنا وصعدت شمالاً.. فالدور دورنا هذه المرة.. فنحن في حاجة إلى دورة حضارية تنهض شمالاً.

إمكانات الإسلام في أفريقيا وأمريكا

وفي هذا الإطار تأتي دعوة بعضنا لتعريب أفريقيا ونشر الإسلام في أمريكا.. أما تعريب أفريقيا فذلك أن اللغة العربية هي الأصل في أفريقيا منذ آلاف السنين.. الآن غزتها ودخلت عليها الإنجليزية والفرنسية والبرتغالية، دخلت عليها قبل قرن ونصف أو قرنين تقريباً، فهي حديثة جداً.. واللغات الأفريقية الكبرى، في غربي أفريقيا وشرقيها عاشت كذلك على اللغة العربية غالب مادتها اللغوية.. القرن الأفريقي، أصول اللغة فيه كلها عربية .

المشروع الحضاري الإسلامي.. تـأمـلات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

أفريقيا ليست لها لغة واحدة، وإنما هي رطانات، لذلك يمكن أن تكون العربية هي اللغة العامة الجامعة.. وإذا ضربنا بالسودان مثلاً، فإن السودان ما كان عربياً في شماله، كان نوبياً لا يحسن نطق العربية العامة، ولا شرقيه ولا غربيه ولا جنوبيه، ولكن اللغة العربية الآن انبسطت شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً وأصبحت هي لغة الخطاب. حتى في الجنوب، بين قبيلة وقبيلة، فإنهم لا يعبرون حدود القبيلة إلا بالعربية.. والأفارقة الآن يسألون الله أن تفتح لهم أبواباً ليتحدثوا بالعربية. العرب يبدو أنهم لا يريدون أن ينشروا لغتهم.. لا أدري لماذا؟

الصراع في إفريقيا الآن، صراع لغات وصراع ثقافات.. والصراع بين الهوتو والتوتسي هو صراع لغات بين الفرانكوفونية والأنجلوفونية.. كل يمد الوقود من هنا وهناك، ويقتتل الأفارقة وتسفك دماؤهم، في سبيل لغة، لأن اللغة هي التي تصلك بالآخر، فتعرف قضاياه، وتتفاعل معه، وتشتري منه، ويشترى منك، وهكذا.. اللغة هي وسيلة اتصال.. وبغير اتصال تنقطع الصلة بين الناس.

وإذا كنا -في السودان مثلاً- نريد أن نعرب أفريقيا، فلأن السودان هو البلد الوحيد الذي انزج في أفريقيا، ولذلك يكرهه الغرب، ويجب لو أن صحراءً حالت بينه وبين أفريقيا، وأن النيل لم يصله أبداً.. لكن الذي نطمئن إليه هو أن الأفارقة منفتحون للغة العربية.. وأحسب لو أن أموالاً قليلة من أموال العرب دخلت أفريقيا، لتعلمت أفريقيا كلها العربية، ولتحولت إلى الإسلام.

أما أمريكا فهي أسهل بلد يمكن نشر الإسلام فيه.. فهي جمع من البشر، لم يرثوا كرهاً للمسلمين مثلما ورث الغربيون من كرهٍ منذ الحروب الصليبية. الغربيون تنطبع في نفوسهم كراهية المسلم، فإذا كنت مسلماً تنسد طبله آذانهم دون سماع كلامك، فهم لا

يريدون أن يسمعوا منك شيئاً أصلاً، لا سيما إذا كنت مصفر اللون أو مسود اللون، لأن الغربي يؤمن بالعرقية، ولا يؤمن بالدين أصلاً، ولا بآدم وحواء.. ولكن أمريكا بلد مفتوحة فيها كل الألوان والأعراق، وقلوب الأميركيان مفتوحة كذلك.. إذا كرهوك خرجوا بكراهيتهم إليك، وإذا أحبوك خرجوا إليك بحبهم كذلك.. وينقلبون بين عشية وضحاها.. أما الأوربيون، فالضغائن والمكائد كامنة في نفوسهم، حتى إذا ابتسموا لك، فوراء الابتسامة سموم.

لذلك أعتقد أن أمريكا أسهل بلد لنشر الإسلام.. ولكن نسأل الله أن يوفر لنا من يستطيع أن يخاطب الأميركيان على قدر عقولهم.. ونحن نريد أن نفعل ذلك.. وهناك في أمريكا اليوم قطاع أفريقي ضخم جداً دخل الإسلام، وبدأ يحرك أمريكا كلها، ويخيفها كلها.

وأنا لا أقول ذلك عبثاً أو من فراغ.. فإذا كان الإنسان العربي الأمي، الذي لم تكن له حضارة، ولم يكن يعرف أطعمة ولا ملبوسات ولا مصنوعات، وكان يمشي حافياً، استطاع أن يخترق حضارات الرومان والفرس كلها، فانقلبت إسلاماً، أفلا يتيسر لنا نحن ذلك اليوم؟ نحن الذين نتحدث اليوم لغة الغربيين وهم لا يتحدثون لغتنا، ونعرف تاريخهم ولا يعرفون تاريخنا، ونعرف دينهم وهو من ديننا، ولا يعرفون ديننا؟

ليست هناك مقارنة بيننا وبينهم.. فقط علينا أن نتحلل من عقدة النقص إزاءهم، بأنهم هم الأعلون.. نحن لا نعدو عليهم بالقوة، إلا أن يبدأوها هم، ولكن باللسان وباللحجة والدعوة، يمكن أن تتعرب أفريقيا، ويمكن أن تسلم أمريكا لله إن شاء الله.

خاتمة:

المشروع الحضاري الإسلامي.. تاملات وبصائر
الدكتور حسن عبد الله الترابي

لم أرد بما أوردته أن أنزل كثيراً إلى عين الحوادث والوقائع، دون أن أسمى الأشياء،
فإشارتي ومقصدي وإلى ماذا أصوب بالقوانين العامة، أمر يسهل إدراكه.. لكنني
أردت أن لا يجرنا للوراء ثقل ضعف الدين وضعف الإيمان والعصبيات.
وعرضت لأمراضنا أولاً قبل أن أتحدث عن الخارج، وعن أنه ما أصاب من مصيبة
فبما كسبت أيدي الناس، والله لا يسلط عبداً أولي بأس شديد إلا لأن الناس
أفسدوا.. تحدثت عن فسادنا نحن، قبل أن أتحدث عن الذي أضعفنا وأتاح للآخرين
بعد ذلك أن يتمكنوا منا لهذا الضعف.

ينبغي أن لا يغيب عنا أننا أمة تؤمن بالأزل، ولكن نُنعي حتى بالأمور البسيطة..
نزول الأذى من الطريق لأننا نصله بالأزل، نصله بالسموات والأرض.. ونسبح الله لا
في الأرض، ولكن نحمده في السموات والأرض.. نحن الوحيدين الذين نستطيع أن
نصل السموات بالأرض.. ولكن هذا العالم الغيبي الكلي العالمي ضعف عندنا جداً،
وأصبحنا محاصرين ومعصورين ومحصورين على محقرات الأشياء وصغائرها، والفرعيات
من الأصول في أنفسنا.

الآن هناك دفعة للانفتاح من الفروع إلى الأصول، ومن الأرض تحت أقدامنا إلى
الأرض بسعتها كلها.. ومن الدنيا إلى الآخرة.. ومن المسلم القديم إلى كل العالم لندخله
على الإسلام إن شاء الله.. نهدى العالم.. من الدار القليلة، دار المسلمين هذه، إلى كل
العالم إن شاء الله..

والحمد لله رب العالمين.